إنجيل متى ١٤: ٢٢-٣٣

يسوع وعواصف الحياة

تأليف: تومي ساوث

« وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر، حتى يصرف الجموع. وبعد ما صرف الجموع، صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي. ولما صار المساء، كان هناك وحده. وأما السفينة، فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج، لأن الرياح كانت مضادة. وفي الهزيع الرابع من الليل، مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر، اضطربوا قائلين: إنه خيال! ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجعوا! أنا هو. لا تخافوا! فأجابه بطرس وقال: يا سيد، إن كنت أنت هو، فمرني أن آتي إليك على الماء! فقال: تعال! فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي ليسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة، خاف وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلاً: يا رب نجني! ففي الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال: يا قليل الإيمان لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة، سكنت الريح. والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقةأنت ابن الله! »(متى ١٤: ٢٢-٣٣).

عندما ازدادت شهرة يسوع بين الجموع، ازدادت أيضاً عداوة الأعداء. بل ورفضه شعب مدينته (١٣: ٥٣-٥٨). لقد كان في خطر من جانب هيرودس انتيباس، الذي قد أمر بقتل يوحنا المعمدان وظن خطأً بان يسوع كان يوحنا مقام من الأموات (متى ١٤: ١-١٢). نتيجة لهذه العداوة، تراجع يسوع من المنطقة إلى « موضع خلاء منفرداً » (١٤: ١٣). انه لم يتراجع بسبب الخوف، بل لكي يتجنب المواجهة مع هيرودس قبل ان تأتي ساعته ولكي يكون له وقت لتأملات روحية وصلاة (١٤: ٢٣).

خلال فترة التراجع هذه، صنع يسوع إحدى معجزاته الأكثر إثارة - وهي اطعام الخمسة آلاف رجل، هذه هي المعجزة الوحيدة التي ذكرت في كل من الأناجيل الأربعة. ولكن كانت لهذه الآية العظيمة نتيجة غير سارة إذ يقول يوحنا: « وأما يسوع، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده » (يوحنا ٦: ١٥). هذا يفسر العبارة التي وردت في متى ١٤: ٢٢ انه بعد المعجزة، « ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع ». من الواضح ان يسوع لم يرد لاتباعه ان يكونوا جزءاً من المطالبة بقائد عسكري كما كان هدف الجموع.

في تلك الليلة وقع حدث لا يُنْسَى والذي قاد الاثني عشر إلى الاعتراف بيسوع انه ابن الله لأول مرة (متى ١٤: ٣٣). بينما كان الاثنا عشر هناك في السفينة على البحيرة، جاءت عاصفة، وصار الاثنا عشر في خطر مفاجيء. حدد متى بان ذلك كان في الهزيع الرابع (أي بين الساعة ٣ والساعة ٦ صباحاً). انه كان خلال هذه الخبرة المخيفة من الارتباك، والظلام، والخطورة قال متى بان يسوع مضى إليهم « ماشياً على البحر » (١٤: ٢٦). من الواضح ان التلاميذ كانوا خائفين ظانين ان يسوع كان « خيال » {أي شبه}. ولكنه طمأنهم سريعاً إذ قال: « تشجعوا! أنا هو. لا تخافوا! ». حينئذ طلب بطرس ان يكون جزءاً من المعجزة، وقال: « يا سيد، إن كنت أنت هو، فمرني أن آتي إليك على الماء ». فنادى يسوع بطرس إليه، وفي البداية كان بطرس قادراً أيضاً ان يمشي على

الماء. «ولكن لما رأى الريح شديدة، خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلا: يا رب نجني!» فأنقذه يسوع وعاد به إلى السفينة بشيء من التوبيخ: «يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟» بعد هذا سكنت الريح وسجد الاثني عشر ليسوع وأعلنوا انه ابن الله. حقاً انهم لن ينسوا تلك الليلة!

لا يوجد لدينا شك بان العاصفة كانت عاصفة حقيقية من رياح وأمواج، وبان يسوع مشى بالحقيقة على الماء، وبان بطرس نفسه حاول أن يفعل ذلك عندما أمره يسوع بذلك. ولكن توجد للعاصفة أيضاً وإنقاذ يسوع لبطرس رموز ذات أهمية قيمة. تأتي «العواصف» عادة في حياة كل منا بحالات مخيفة. هل يوجد ليسوع دور في مثل هذه الأزمنة المضطربة في حياتنا؟ هل يمكن ان نثق فيه لكي «ينقذنا» كما أنقذ بطرس؟ هل يأتي إلينا بطريقة مفاجئة كما فعل للاثني عشر؟ رغم انه غير موجود معنا جسدياً، هل يستطيع ان يساعدنا بأي طريقة عندما نكون في مشكلة؟ وعندما تأتي «العواصف»، هل يكون السبب هو اننا قليلي الإيمان أو لأننا قد ارتكبنا خطية؟ كيف نفسر الاضطرابات في حياتنا ودور يسوع فيها؟ تأمل في الملاحظات التالية:

«ألزم» يسوع الاثني عشر ان يدخلوا السفينة

كما ذكر آنفاً ان الآية ٢٢ يفسرها يوحنا ٦: ١٥. «ألزم» يسوع التلاميذ أن يدخلوا السفينة لكي يمنعهم من ان يشاركوا في حركة خاطئة لكي يأتوا ويجعلوه ملكاً. مرة بهم العاصفة لأنهم كانوا في السفينة على البحيرة.

النقطة الأساسية هي ان يسوع يدخلنا أحياناً في «عواصف»! انه ليس صحيحاً بان الخضوع لإرادة المسيح يؤدي دائماً إلى إبحار هادىء بالنسبة لنا. من السهل الوصول إلى خلاصة غير صحيحة عندما تحدق بنا الاضطرابات، ونقول: «إذا كان كل هذا يحدث إليّ، فانني لست أعمل إرادة الله!» بما انه حقيقة بان الخطية تنتج أحياناً آلام، انه غير صحيح بان كل الآلام هي نتيجة للخطية.[1] في إنجيل يوحنا ١٦: ٣٣، قال يسوع للمقربين إليه: «... في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم». الاضطرابات جزء من الحياة، ما إذا كنت باراً أم لا. ان الاضطرابات في الحياة ليست علامة تلقائية بعدم رضى الله كما ان العاصفة لم تكن علامة تلقائية بعدم خضوع التلاميذ ليسوع. انهم وجدوا انفسهم في العاصفة لأنهم فعلوا تماماً ما أمرهم به. فلماذا أرسلهم إذاً، علماً بان العاصفة قد تلحق بهم على البحيرة؟

أحياناً يسمح الله باضطرابات في حياتنا لأننا نحتاج إلى تصحيح. هكذا كان الأمر مع يونان النبي. لحقت به عاصفة حقيقية لأنه كان يهرب من الله ومن المهمة التي أمره الله أن ينجزها. يخبرنا الأصحاح الثاني عشر من الرسالة إلى العبرانيين بان الله يؤدب الذين يحبهم، لهذا قد تكون مثل هذه «العواصف» علامة محبة الله لنا. انه يحبنا أكثر جداً بحيث يسمح لنا بالتعب إذا كان هذا سيعود بنا إلى طرقه. ومن ناحية أخرى، قد يسمح الله أحياناً بالعواصف في حياتنا ليست للتصحيح بل للكمال. يبدو بانه هكذا كان الأمر في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل متى. استخدم يسوع هذه المناسبة ليظهر نفسه أكثر لتلاميذه. لم يكونوا قد اعترفوا بعد انه ابن الله، ومجيئه إليهم في العاصفة جعلهم يعرفون ذلك. لو لم تكن العاصفة لبقى إيمانهم ناقص عما اصبح عليه بعد ذلك.

لا يجب أن نعتبر «العواصف» التي في حياتنا كعلامة عدم رضى الرب عنا أو إخفاق روحي من جانبنا. مهما كانت الصعوبات التي تواجهها في الحياة، فانك قد تكون في المكان الذي يريد لك الله ان تكون فيه تماماً. ماذا يحدث لو كان كل المبشرون الذين يواجهون

[1] قد وضح هذا بجلاء في سفر أيوب. قاسى أيوب الآلام، ومع ذلك يوجد في جزء مبكر من السفر بان الله نفسه قال عنه: «هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر!»

صعوبات في مجال عملهم يعتبرون تلك الصعوبات كعلامة وجودهم في مكان غير مناسب! لما كان هناك أحد في ميادين التبشير اليوم. وماذا يحدث لو أعتبر كل معلم الكتاب المقدس طلاب الفصل غير الناجحين كعلامة على انه يفعل شيئاً غير مرضي للرب؟ لما كان لدينا معلمين اليوم! وماذا يحدث لو كان يسوع قد فسر آلامه كعلامة وجوده في مكان غير مناسب وبانه يقوم بأعمال غير مناسبة؟ لما كان لدينا مخلصاً!

ستأتي العواصف. ولكن لا ينبغي ان نفسرها كـ «علامات» عدم رضا الله عنا، إلا إذا كنا نعلم باننا نتعدى إرادة الله بطريقة ما. من المحتمل أكثر انها جزء من «الضيق» الذي وعد به يسوع أتباعه انه سيكون لهم دائما في العالم.

جاء يسوع إلى الاثني عشر في العاصفة

تقول الآية ٢٥ انه «في الهزيع الرابع من الليل، مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر». كان باستطاعة يسوع ان يمضي إليهم بأية طريقة يختارها. لماذا مضى إليهم بهذه الكيفية؟ لماذا جاء في وسط العاصفة عوضاً عن ان يقلع معهم في السفينة؟ لماذا جاء ماشياً على الماء؟ قال وارن ويسبي انه جاء بهذه الكيفية «ليبين لهم بان الشيء نفسه الذي كانوا يخافون منه (أي البحر) كان مجرد سلماً الذي يمكن ان يأتي إليهم ماشياً عليه».

ان اضطراباتنا تكون عادة سُبل لبعض من أعظم بركات الله. فكر في هذا: كم تبلغ من النمو الروحي عندما كان شيء سهلاً لك؟ ومن ناحية أخرى، ما هي نوع الدروس الروحية التي قد تعلمتها وما هو مقدار الإيمان الذي اكتسبته خلال تلك الأزمنة عندما كان إيمانك يمر بإختبار عنيف؟ يوصي يعقوب بان اختبار إيماننا هو الذي ينشأ صبراً ويقودنا ذلك الصبر إلى كمال في تطوير الصفات المسيحية {لكي نكون} «تامّين وكاملين، غير ناقصين في شيء» (يعقوب ١: ٢-٤). يحدث مراراً انه في أوقات المحن العظيمة نأتي لنعرف المسيح كما لو لم يسبق أبداً من قبل. في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١٢: ٧-١٠ يخبرنا بولس عن المحنة التي اصابته من «شوكة في جسد». طلب من الله ثلاث مرات ان ينزعها منه، ولكنه رفض، إذ قال لبولس: «تكفيك نعمتي». تعلم بولس درساً مهماً بان ضعفه هو الذي جعل الله يظهر قوته المطلقة بكيفية بالغة، وهذه أعظم قدرة روحية التي أتت خلال تلك الأزمنة من الضعف الجسدي. انه تعلم دروساً خلال آلامه لم يكن من المحتمل ان يتعلمها بأية طريقة أخرى.

هل تساءلت قط لماذا لم يتعرف التلاميذ على يسوع عندما رأوه آتياً إليهم على الماء؟ إلى جانب الظلام وارتباك العاصفة، لم يعرفوه لأنهم ما كانوا يبحثون عنه في تلك الظروف. انه من الطبيعي جداً انهم لم يتوقعوا ان يروه هناك! لسوء الحظ، أحياناً لا نتوقع أيضاً ان نراه خلال «عواصفنا»، ولكن تلك هي الأوقات التي يجب أن نبحث عنه فيها بأكثر الجهد. علينا ان نتوقعه يعمل نيابة عنا لانه وعد بانه لا شيء يستطيع ان يفصلنا من محبته (رومية ٨: ٣١-٣٩). عندما نكون في محنة، يجب ان نتساءل بتوقع: «كيف يمكنه ان يساعدني؟ ماذا يفعل؟» كما قال إنسان مسيحي بفكرة سليمة ذات مرة بانه بعد ما فقد عمله ولم يكن له عمل آخر محتمل، يقول: «انه مثير للعجب دائماً عندما ترى ما يدبره الرب!»

يحتوي سفر إشعياء ٤٣: ١-٣ على الوعود التالية لشعب إسرائيل:

> والآن، هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل: «لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك. أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذَع. واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل مخلصك، جعلت مصر فديتك كوش وسبا عوضك».

تنطبق هذه الوعود على المسيحيين أيضاً، لأن يسوع قد وعد قائلاً: «وها أنا معكم كل الأيام

إلى انقضاء الدهر ».[٢] يشمل وعده على أوقات نكون فيها في اضطراب شديد. سنعبر المياه والنار، ولكننا لا نعبرها وحدنا.

تعامل يسوع مع بطرس حسب إيمانه في كل من شدته وضعفه

كان بطرس يمر بشيء مثل « أفعوانية روحية » خلال مشيه على الماء. مر بخوف أولاً، ومن ثم تردد ثم تشجيع، ثم خوف مرة أخرى، وأخيراً ثقة. استجاب يسوع لإيمان بطرس وتعامل به في كل مرحلة. لقد أعطاه كل ما يمكن لإيمانه ان يحتمل. بينما كانت المجموعة كلها خائفة، طمأنهم في ما كانوا يحتاجون إليه أكثر. عندما كان بطرس متردداً، أعطاه أمراً. عندما تشجع، أبقاه المسيح على أيمانه. عندما تعثر وصاح طالباً المساعدة، أمسكه يسوع وخلصه من خوفه. ولكن لم يتركه يسوع لأن بطرس كان يثق فيه! كان إيمان بطرس مثل إيمانك وإيماني. كلنا « نركب الأفعوانية » أحياناً. لا يبقى أحد منا « على القمة » روحياً في كل الأوقات، ولا يجب أن نتظاهر بذلك. لا يحبنا يسوع عندما نكون « في قمة » إيماننا فقط، بل عندما نكون « في الأسفل » أيضاً. ما دمنا ننظر إليه بالإيمان، فهو لن يتركنا أبداً.

يسرد وليم باركلي قصة فراسيس السيلس، الذي كان يرقب فتاة تأخذ ماء من البئر يوماً بعد يوم، عندما كان يعيش في الريف. فلاحظ انها كانت تضع قطعة من الخشب في الدلو قبل ان تنزله إلى ماء. وأخيراً في احد الأيام سألها عن فائدة القطعة الخشبية. فأجابت: « لماذا؟ لكي تمنع الماء من ان يتدفق، لكي تجعله مستقراً ». فكتب فراسيس إلى صديقه وأخبره بما قد تعلمه قائلاً: « عندما يكون قلبك مضطرباً وهائجاً، ضع الصليب في وسط قلبك، لكي يجعله هادئاً ».

ستأتي العواصف. لا يجب أن تسمح لذلك بازعاجك. الله مازال يحبك. وسيأتي إليك المسيح في وسط تلك العواصف. ابحث عنه! احتفظ بثقتك فيه، فهو لن يتركك أبداً.

الخلاصة

قد يرسلنا يسوع أحياناً في العواصف. لا يحمي تلاميذه دائماً من متاعب الحياة. تجعلنا العواصف نرى المسيح أكثر وضوحاً وندرك قوته بأمل وجه.

رغم ان إيماننا يضعف أحياناً، فهو السبيل إلى يسوع. انه سيتعامل معنا حسب إيماننا. انظر إليه بعين الثقة.

---

[٢] أنظر متى ٢٨: ٢٠

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧